أثبت علم الصّوتيات الحديث: أنَّ النفس والمقطع معياران أساسيّان في تحديد المخرج؛ لأنَّ النفس الخارج من الرئتين المار عن طريق القصبة الهوائية، يصل إلى تجويف الفم فيلاقي نقطة انسداد أو تضييق بمساعدة اللسان واللثة العُليا أو سقف الفم ووسطه ومقدمه والأسنان العُليا والشّفتين وغيرها من أعضاء الجهاز النُّطقيّ. ونقطة الانسداد والتضييق هي التي تحدد مخرج الصوت المطلوب، إذ يعقبهما انفتاح ومرور الهواء، وقد عبّر عنهما ابن جنيّ بكلمة (مقاطع)، فالمقطع عنده هو نقطة الانسداد أو التضييق لمجرى النفس المتصل.

وتتّخذ أعضاء الجهاز النُّطقي أوضاعًا عضلية معينة فيحدث صوت الحرف ، وتُحدد مخارج أغلب الحروف وفق هذا الوصف .

وقد لا يكون مخرج الصوت وهو (موضع نطقه) مُحدّدًا بعضوٍ واحدٍ فقط، فقَدْ تشترك أعضاء عدة في إصدار الصّوت الواحد، أو قَدْ يكون موضع النُّطق (هو نقطة التقاء عضو بآخر).

فعندما نقول مثلًا: إنَّ (الصّاد) صوت لثوي (في وَصْفِ المعاصرين) فهذا لا يعني أنَّ اللثة وحدها هي العضو المسؤول عن إخراج هذا الصوت، بل نجد أنَّ اللسان يشترك مع اللثة في عملية إنتاجه، وذلك بالتقاء طرفه باللثة في أثناء نطق الصوت، والتقاؤهما على هيئة خاصة هو الذي يحدد النُّطق .

إذن فالعمليّة النُّطقيّة التي تؤدّي إلى إنتاج الأصوات تُعدُّ من العمليات المعقدة؛ لأنَّهُ يدخل تحتها عمليات جزئية شبه مستقلة، وهي تأتي نتيجة لتنوع الضغط الذي يصادفه تيار الهواء في أماكن متنوعة من مجراه، فكل نقطة على طول جهاز النُّطق تصلح أن تكون مكانًا يتنوع فيه الضغط، وكل نقطة على طول الجهاز النُّطقي هي مكان في الآلة المصوتة، يشارك في عملية إنتاج الصوت الكلامي، وذلك إما بملامسة عضو النُّطق لعضوٍ آخر، أو باقترابه منه اقترابًا يؤدّي إلى خلق العقبة أو (العائق) في وجه الهواء بحيث يمنعه من المرور في أثناء النُّطق بصوت معيّن ، فمخرج الحرف على هذا حيث يتم حصر الصوت أو ضغطه .

إذن فمفهوم المخرج هو: ((مكان النُّطق)) ، أو هو: الموضع الذي يولد فيه الصوت اللغويّ، أو هو موضع خروج الصوت، أو هو: النقطة المعينة من آلة النُّطق التي ينشأ منها الصوت أو يظهر فيها ويتميز، نتيجة لتضييق مجرى الهواء أو غلقه ثم إطلاقه .

ثانياً: **مخارج الأصوات بين القُدامى والمُحدَثين**:

أ-مخارج الأصوات عند القُدامى:

١- عدد المخارج:

قسّم عُلماء العربيّة مخارج الأصوات على أقسام اختلفوا في أعدادها، فالخليل بن أحمد الفراهيدي جعل مخارج الأصوات تسعة ، وعدَّ ابن الطّحان أنَّ للأصوات خمسة عشر مخرجًا، أمَّا سيبويه ، والمبرِّد ، وابن جنيّ ، والزَّجاجيّ ، وابن الباذش ، والأنباري ، وابن يعيش ، والأستراباذي ،وأبو حيّان الأندلسيّ، فجعلوا مخارج الأصوات ستة عشر مخرجًا، وذهب علماء التجويد المتأخرون إلى أنها سبعة عشر مخرجًا، إذ جعلوا للحركات الطويلة (حروف المد واللين عند القدامى) ، وهي (الألف، والواو، والياء) مخرجًا مستقلاً أطلقوا عليه اسم (الجوف)، قال ابن الجزريّ : ((فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد ومكيّ بن أبي طالب. . . وغيرهم سبعة عشر مخرجًا، وهذا الذي يظهر من حيث الاختيار)) .

٢- ذكر مخارج الأصوات عند القُدامى:

وزّعَ عُلماءُ العربيّةِ الأصوات على مواضع خروجها من آلة النُّطق، فنسبوا كلَّ صوتٍ للموضع الذي يخرج منه، ولمَّا أدركوا أنَّه قد يشترك أكثر من صوت في الخروج من نفس المخرج قسموا الأصوات على طوائف، وجعلوا كل طائفةٍ تنتمي إلى مخرجٍ محدد تصدُر منه وتنسبُ إليه.

أمَّا مخارج الأصوات عند الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ فقد ذكرها بقوله: ((فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية، لأنَّ مبدأها من الحلق. والقاف والكاف لهويتان، لأنَّ مبدأها من اللهاة، والجيم والشّين والضّاد شجريّة؛ لأنَّ مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم. والصّاد والسّين والزّاء أسلية؛ لأنَّ مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان. والطّاء والتاء والدّال نطعية؛ لأنَّ مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظّاء والذّال والثّاء لثويّة؛ لأنَّ مبدأها من اللثة. والرّاء واللّام والنّون ذلقيّة، لأنَّ مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفيه كذلق السنان. والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة: شفهية؛ لأنَّ مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيزٍ واحد؛ لأنَّها هاوية في الهواء لا يتعلق بها شيء)) .

وأمّا مخارجُها عند سيبويه؛ فتميّزت بالشهرة والشيوع؛ وذلك لأنَّهُ قد استخدم طريقة جديدة ومبتكرة في ترتيب وتوزيع الأصوات على مخارجها خالف فيها ما جاء به أُستاذه الخليل من قبله، وقد لاقى ما قدمه سيبويه صدًى واسعًا عند من أتى بعده من العلماء، فأخذوا بما جاء به وثبتوه في مؤلفاتهم واعتمدوا عليه في كلامهم.

ومخارج الأصوات عند سيبويه ومن تبعه، نجدها في قوله : ((ولحروف العربيّة ستة عشر مخرجًا :

فللحلق منها ثلاثةٌ. فأقصاها مخرجًا: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء. وأدناها مخرجًا من الفم: الغين والخاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك (الأعلى) مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

ومن بين أوَّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون، غير أنَّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللّام، مخرج الرّاء.

وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطّاء، والدّال، والتاء.

وممّا بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزّاي، والسّين، والصّاد.

وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظّاء، والذّال، والثّاء.

ومن باطن الشفة السُّفلى وأطراف الثنايا العُلى مخرج الفاء.

وممّا بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة)).

إذن فما بين ما ذكره الخليل وما جاء به سيبويه فرق شاسع، فمخارج الأصوات عند الأول تسعة بينما جعلها الثاني ستة عشر مخرجًا، وهذا إن دل على شيءٍ فهو يدل على أن سيبويه قد فصّل القول في مخارج الأصوات بشكلٍ أوسع وأدق مما ذكرهُ الخليل، وفرق العدد بين المخارج عند العالمين يثبت ذلك.

ب- مخارج الأصوات عند المُحدَثين:

أمَّا مخارج الأصوات عند المُحدَثين؛ فهي عشرة مخارج، تخرج من الجهاز النُّطقي، وهي على الترتيب الآتي:

١- **شفويّ:** ويكون بتقريب المسافة بين الشفتين بضمهما، أو إقفالهما في طريق الهواء الصّادر عن الرئتين ، وهي : الباء والميم .

٢- **شفويّ أسنانيّ:** هو نتيجة اتصال الشفة السُّفلى بالأسنان العُليا لتضييق مجرى الهواء وهي : الفاء .

٣- **أسنانيّ:** مبنيٌّ على اتصال طرف اللسان بالأسنان العُليا ، وهي : الثاء ، والذال ، والظاء .

٤- **أسناني لثوي:** وهو ما اتصل طرف اللسان فيه بالأسنان العُليا، ومقدمة اللسان باللثة(أُصول الثنايا) ، وهي : التاء ، الدال ، الطاء ، والضاد ، واللام ، والنون .

٥- **لثويّ:** وهو ما اتصل فيه طرف اللسان باللثة أثناء النُّطق ، وهي : الراء ، والزاي ، والسين ، والصاد .

٦- **غاري:** وهو الذي تحدث فيه صلة بين مقدّم اللسان وبين الغار (وهو الحنك الصلب الذي يلي اللثة) ، وهي : الجيم ، الفصيحة والشين ، ومن وسطه (الحنك الصلب) يخرج الياء .

٧-**طبقيّ:** وهو ما نتج عن اتصال مؤخّر اللسان بالطبق (وهو الجزء الرخو الذي في مؤخرة سقف الفم) ، وهي : الخاء ، والغين ، والكاف ، والواو .

٨- **لهويّ:** وهو ما اتصل فيه مؤخّر اللسان باللهاة (وهي آخر جزء في مؤخر الطبق) ، وهي : القاف الفصيحة .

٩- **حلقيّ:** ونقصد به المخرج الناتج من تضييق الحلق ، وهي : العين ، والحاء.

١٠- **حنجري:** وهو نتيجة الإقفال أو التضييق في الأوتار الصوتيّة التي في قاعدة الحَنْجَرَة ، وهي : الهمزة ، و الهاء .

فهذهِ هي مخارج الأصوات، كما دلَّت عليها تجارب المعامل الصوتيّة المعاصرة، ويُعَدُّ اللسان من العوامل المهمة التي تشارك في أغلب المخارج، فهو وإنْ لم يُنسب إليه أيّ مخرج، لكنَّنا نجده عضوًا فعالاً في إخراج الأصوات، فقد يخرج طرفه من بين الأسنان، أو قد يوضع عند الأسنان واللثة، أو عند اللثة وحدها، أو عند الغار، أو ترتفع مؤخرته عند الطبق أو اللهاة .

وننبه إلى أنَّ النَّاظر إلى الترتيب المخرجيّ للقدامى والمُحدَثين، سيجد أنَّ القُدامى قد رتبوا المخارج من أقصى الحلق صعودًا إلى الشَّفتين، أمَّا المُحدَثون،

فرتبوها من الشَّفتين نزولاً إلى أقصى الحلق، وهو من أكثر الفروق الشاسعة بين الفريقين، والملفتة للنظر.